التوجه الروسي أثناء الأزمة السورية

الباحث : عمار صالح العاقل سليمان
amar.alaqle@gmail.com
القسم / علوم سياسية كلية الاقتصاد العجيلات / جامعة الزاوية طرابلس / ليبيا

الملخّص

سعت الدراسة الي بحث ملامح وتوجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه القضايا العربية عامة والأزمة السورية خاصة وان توجيهات الموقف الروسي من الأزمة السورية قد لعبت روسيا دورا مهما اتجاه هذه الأزمة في الضغط علي الحكومة السورية لتقديم مجموعة من الاصلاحات السياسية لصاح الحكومة لتسوية الأزمة اتجاه الشعب السوري وستستمر اهمية الدور الروسي في تسوية الأزمة السورية خاصة في ظل سعي موسكوا الي تنشيط سياستها في منطقة الشرق الاوسط.

الكلمات المفتاحية

Abstract

The study sought to examine the features and directions of foreign policy line toward general Arab issues and the Syrian crisis especially since the orientations of the Russian position on the Syrian crisis ،Russia has played an important direction of this crisis role in the pressure on the Syrian government to provide a range of political reforms to hoot the government to resolve the crisis the direction of Syrian people and will continue significance russias role in settling the Syrian crisis especially in light of Moscow siught to activate the logic of its policy in the middle east.

Keywords

المقدمة:

تشهد منطقة الشرق الأوسط العديد من الصراعات التي تهدد استقرارها وأمنها ، والتي تلعب دورا رئيسيا في ترسيم سياسات دول المنطقة تجاه مختلف القضايا الإقليمية والدولية، ولكن تبقي الأزمة السورية الراهنة هي الأكثر تعقيدا ، والأكثر تشابكا مع العديد من قضايا الشرق الأوسط ، فضلا عما يترتب عليها من تداعيات لا يتوقف نطاق تأثيرها علي موقف أطراف الصراع، وإنما أيضا على سياسات العديد من القوي الدولية تجاه المنطقة بشكل عام .

وقد مثلت روسيا وما تتبناه من سياسات تجاه المنطقة أحد أهم العوامل الحاكمة لمجريات الأزمة السورية وسبل إدارتها ولذا لطالما كان تحليل التوجهات الروسية تجاه الشرق الاوسط محورا رئيسيا للعديد من الدراسات التي تتناول القضايا العربية ، والأزمة السورية علي وجه التحديد.

مشكلة الدراسة :

حيث شكل العنصر الدولي ، وما يزال أحد أهم جوانب التأثير في القضايا العربية عامة والأزمة السورية خاصة ولذلك فقد كانت دراسة سياسة القوى العظمى ، وتحديدا روسيا، تجاه الأزمة السورية محط اهتمام متزايد لعدد كبير من الدراسات على مدار العقود، وتنفرد روسيا بميزات خاصة، فروسيا تسعي لاستعادة مكانتها المفقودة فهي وريثة الاتحاد السوفيتي ، ولديها من الامكانات والقدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية ما يؤهلها لتكون لاعبا

فاعلا ومؤثرا في النظام الدولي فقد استفادت روسيا من تجربة الانهيار السوفيتي وأعادت بناء نفسها من جديد.

ومن ثم فان السؤال البحثي الرئيسي الذي تحاول الدراسة الاجابة عليه يتمثل في: " التوجه الروسي تجاه القضايا العربية عامة والأزمة السورية علي وجه الخصوص ؟"".

تساؤلات الدراسة :

ويتفرع من هذا التساؤل البحثي الرئيسي عدة أسئلة فرعية ، هي:

ماهي تطورات السياسة الخارجية الروسية تجاه القضايا العربية؟

ماهي محددات السياسة الخارجية الروسية تجاه الأزمة السورية؟

ماهي ملامح وتوجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه الأزمة السورية ؟

ماهي الأدوار والمبادرات الروسية لتسوية الأزمة السورية ؟

ماهي التحديات التي تواجه السياسة الروسية في تسوية قضايا المنطقة العربية والأزمة السورية؟

ماهي انعكاسات السياسة الروسية علي القضايا العربية عامة والأزمة السورية خاصة؟

ماهو مستقبل السياسة الروسية تجاه القضايا العربية في ضوء التطورات الاقليمية والدولية؟

حدود الدراسة:

وتشمل الاتي:

الاطار العلمي: تنتمي الدراسة الي حقل العلاقات الدولية حيث ان دراسة السياسة الخارجية للدول تجاه قضايا معينة هي من صميم ذلك الفرع من فروع العلوم السياسية.

الاطار الزمني : يبدأ الاطار الزمني للدراسة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينات وحتي 2014.

الاطار المكاني: تمثل المنطقة العربية عامة ودولة روسيا خاصة المساحة المكانية للدراسة .

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة تحقيق العديد من الاهداف أبرزها:

رصد وتحليل طبيعة وابعاد تطورات السياسة الخارجية الروسية تجاه القضايا العربية والأزمة السورية .

الوقوف علي محددات السياسة الروسية تجاه الأزمة السورية.

تقديم رؤية مستقبلية للسياسة الخارجية الروسية تجاه القضايا العربية عامة والأزمة السورية خاصة في ضوء المتغيرات الدولية .

أهمية الدراسة :

تتبع أهمية الدراسة من عدة اعتبارات يمثل أبرزها فيما يلي :

من الناحية العلمية :

تندرج هذه الدراسة في حقل الدراسات المعنية ببحث وتحليل القضايا العربية استنادا الي متغير السياسة الخارجية الروسية

تقدم الدراسة اطارا نظريا يتناول تحديد مفاهيم لمتغيرات الدراسة

تضيف الدراسة بحثا جديدا الي المكتبة العربية بالتوجه الروسي اثناء اندلاع الأزمة السورية وسياق سياستها الخارجية .

من الناحية العملية :

تقدم الدراسة اطارا تحليلا لصانع ومتخذ القرار في اطار تعامله مع السياسة الخارجية الروسية في المنطقة ، كما تطرح الدراسة بعض التصورات والآليات للاستفادة من التطورات المحلية والاقليمية والدولية في خدمة القضايا العربية وخاصة القضية السورية .

تأتي هذه الدراسة لرصد وتحليل الدور الذي تضطلع به روسيا في الأزمة السورية وبالتالي فان موضوع الدراسة يعد مدخلا لفهم النظام الاقليمي الشرق أوسطي الحالي والتعرف علي بعض جوانب السياسة الخارجية للقوى الكبرى تجاه المنطقة العربية والأزمة السورية محل الدراسة .

الاطار المنهجي التحليلي للدراسة :

منهج الدراسة :-

تعتمد الدراسة بصفة اساسية علي منهج التحليل النظمي في دراسة محددات السياسة الخارجية الروسية وتفسير تطوراتها (MalMilan , 1966 , P 92 – 99 وتستعين الدراسة باقتراب الدور كمدخل لتحليل محددات وابعاد الموقف الروسي من الأزمة السورية (معوض ، العدد 22 ، 2011 ، ص2) ، ويستخدم الباحث المنهج التاريخي لتوضيح ملامح وتوجهات السياسة الروسية تجاه القضايا العربية والأزمة السورية ، كما تستند الدراسة علي اسلوب دراسة الحالة ، وهو يعني بدراسة وحدة واحدة دراسة كلية ، وعمل نوع من التعميم بالنسبة للوحدة المدروسة ، ويقوم أسلوب دراسة الحالة على التعمق في الدراسة ، وسبر الأغوار ، وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجي للظاهرة (المنوفي ، 2000 ، ص99) .

الاطار التحليلي للدراسة :-

تستند الدراسة على نظرية القوى الكبرى في فهم طبيعة مكونات القوة الروسية وكيفية توظيفها في صالح القضايا العربية (سليم ، 2009) ، كما تستعين الدراسة بمدخل تحليل الموقف في عملية اتخاذ القرارات الخارجية في تفسير المواقف الروسية تجاه القضايا العربية والأزمة السورية محل الدراسة . (فقلد ، ط7 ، 2009 ، ص 12 – 14)

أولا: توجهات الموقف الروسي تجاه الأزمة السورية :

من خلال تتبع المواقف الروسية وتصريحات القادة والمسؤولين تتضح مجموعة الملامح والتوجهات التي تميز بها الموقف بها الموقف الروسي من الأزمة السورية ، ولم يأت هذا الموقف من فراغ وانما انطلق من مجموعة من المحددات في ضوء سياق اقليمي ودولي ، ويسعي هذا المبحث الي توجهات السياسة الروسية تجاه الأزمة السورية ومحدداتها .

فقد انطلق الموقف الروسي من الثورة السورية من أهمية المحافظة علي علاقتها بالدولة السورية ومصالحها الاستراتيجية بها، واتسم الموقف الروسي بجملة من السمات ، فقد اتسم بالاهتمام المتزايد بالأزمة السورية عن غيرها من ثورات الربيع العربي ، واستمر التحفظ الروسي عن اطلاق أية تصريحات تعبر عن موقف واضح حتي تفاقمت الأوضاع ، في ظل تصاعد العنف من جانب السلطات السورية تجاه المواطنين ومحاولات الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي تدويل القضية وفرض عقوبات أممية وغير أممية على سوريا .

كما اتسم الموقف الروسي من الأزمة السورية بالدعوة لنبذ العنف والدعوة للحل السياسي والحوار الوطني ، فقد حذر الرئيس "ميدفيديف" القيادة السورية من عواقب الأزمة ، وأن الأسد ينتظره مصير محزن إذا لم يبدأ حوارا مع المعارضة ويباشر الإصلاحات . (ميدفيدف ، 2011)

هذا وقد رأت روسيا ضرورة منح القيادة السورية الوقت لتطبيق الاصلاحات التي تم الاعلان عنها ، ورفضت الدعوة التي أطلقها كل من الرئيس الامريكي " بارك اوباما وكاثرين اشتون المفوضية العليا لشؤون السياسة الخارجية والأمن في الاتحاد الاوروبي إلى الرئيس السوري بشار الاسد" للتنحي (وكالة توفوستي ، 2011) ، وعلي حين أوقفت روسيا التعاون العسكري التقني مع ليبيا بعد فرض العقوبات رغم خسائرها من جراء ذلك والتي بلغت نحو أربعة مليارات دولار ، تواصل مؤسسة روس أوبورون

اكسبورت الروسية توريد السلاح إلى سوريا بموجب العقود الموقعة سابقا ، ومنها طائرات ياك–130 للتدريب ومعدات حربية كذلك.(الشيخ ،2013)

ثانيا : تفسير الموقف الروسي من الأزمة السورية :

تكشف القراءة المتأنية أن ثمة اعتبارات روسية تقف وراء جوهر وسلوك روسيا في سوريا ، منها ما يتعلق بسوريا مباشرة ، ومنها مايرتبط بخارطة التحالف السياسية الدولية التي تراعيها روسيا ضمن استراتيجيتها سواءاً مايتعلق بالعلاقة مع ايران الداعم المركزي للنظام السوري أو العلاقة مع الغرب بموقفه من الأزمة السورية . (الشيخ ، 2013 ، ص 31 – 35)

فمن حيث العلاقة الروسية ، ثمة مواقف وشواهد وأحداث تدل علي تميز العلاقة بين روسيا وسوريا وتفسر – ولو جزئيا – المساندة السياسية الروسية للنظام السوري ، فدبلوماسيا كانت سوريا من بين قلة من الدول التي أعلنت بشكل واضح تأييدها للعملية العسكرية الروسية في جورجيا عام 2008 ، إضافة إلى تأييد السياسات الروسية في داغستان والشيشان ، فالقاعدة العسكرية البحرية في سوريا (طرطوس)هي القاعدة الوحيدة لروسيا علي شواطئ البحر الأبيض المتوسط وهي موجودة عملا باتفاقية قديمة بين البلدين تعود لعام 1971 كلف استمرارها اعفاء سوريا من ديون بلغت 9.8 مليار دولار عام 2006 كما أن سوريا تعد سوقا للسلاح الروسي إذ تبلغ قيمة المبيعات العسكرية المنجزة والمتفق عليها خلال الفترة من 2006 – 2013 حوالي ثمانية مليارات دولار .

ويؤكد بعض الباحثين أن الدور الروسي في سوريا يرتبط بالدبلوماسية الاقليمية والتي ترتكز على محاور رئيسية وهي (عبدالقادر ، العدد 52 ، 2014) :

ادارة الخلاف مع دول الخليج ، التي تتبنى مواقف مغايرة للسياسة الروسية تجاه تسوية الصراع السوري ، لاسيما فيما يتعلق بتسليح المعارضة ومحاربة الجماعات الارهابية في سوريا ، وربما تسعي روسيا الي تحقيق ذلك من خلال التفاهم الخليجي الروسي للعديد من القضايا من بينها الصراع في سوريا .

التمسك بالدور الايراني في سوريا والذي يبدو ان روسيا تمتلك أوراقا تسمح لها بالتأثير عليها ، خاصة بالنظر الي الدعم الذي تقدمه لإيران فيما يتعلق ببرنامجها النووي، وربما يفسر ذلك انتقاد روسيا لعدم مشاركة إيران في مؤتمر جنيف الثاني حيث اعتبرت ان قرار الامم المتحدة سحب دعوة ايران لحضور المؤتمر يشكل خطأ .

محاولة تغيير السياسة التركية تجاه سوريا لاسيما أن نقاط التلاقي بين سياستي تركيا وروسيا ازاء الأزمة تزايدت وخاصة بعد تغير موقف انقره تجاه الحل العسكري كخيار لإنهاء الصراع في سوريا حيث دعا الرئيس التركي عبد الله جول رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان الي اعادة تقييم المدخل العسكري كحل للصراع السوري وهو ما تزامن مع بروز تيار داخل أنقره يرى أن الرهان علي المعارضة (خاسر) لاسيما مع تصاعد نفوذ الجماعات الاسلامية المتطرفة وعلي رأسها تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام "داعش" التنسيق مع قوي اقليمية أخرى علي غرار مصر لاسيما في ظل تقاطع مواقف الجانبين تجاه أهمية التسوية السياسية للصراع في سوريا وكذلك إزاء محاربة الارهاب ، وهو ما انعكس في البيان المشترك الذي صدر في الثالث عشر فبراير 2014 عقب اللقاء الذي جمع بين وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف ونظيره المصري نبيل فهمي وزير الخارجية المصرية ووزير الدفاع الروسي سيرجي شويجو ونظيره المصري المشير عبد الفتاح السيسي في

موسكو ضمن صيغة 2+2 خلاصة القول تعد الأزمة السورية – بخلاف باقي دول التحولات العربية – الاسرع في تحديد الموقف الروسي حيالها ، فلم تنتظر نتائج الانتفاضات الشعبية كما حدث في كل من تونس ومصر وليبيا بل بادرت روسيا بإعلان دعمها لنظام الاسد وان مستقبل سوريا يجب ان يحدده السوريون انفسهم ورفضها للتدخل الخارجي في الشأن السوري خشية تكرار السيناريو الليبي ، وتعتبر الأزمة السورية الآن القضية الأولى بالرعاية في السياسة الخارجية الروسية وذلك لعدة اعتبارات أولها انعقاد مؤتمر جنيف الثاني الذي سعت روسيا جاهدة من أجل التئامه وثانيها أن الأزمة السورية أصبحت بالنسبة لروسيا مسألة مصيرية لسياستها الخارجية في المنطقة ومصداقيتها أمام العالم وثالثها أن حل الأزمة السورية سيحدد بدرجة كبيرة مستقبل المنطقة ومصداقيتها أمام العالم وتوازن القوى فيها ورابعها رغبة روسيا في عدم تكرار ماتعتبره خطأ دوليا في التعامل مع الحالة الليبية (حسين ، 2014) وخامسها يتعلق بضمان عدم استيلاء الجماعات المتشددة علي مقاليد الحكم في سوريا وبالتالي ضمان عدم امتداد الارهاب الي الاراضي الروسية .

الأدوار والمبادرات الروسية لتسوية الأزمة السورية :

أدت المخاوف بشان النظام الدولي مرورا بآراء مواقف الجهات الخارجية الفاعلة وصولا الي المخاوف السياسية الداخلية، الي بلورة سياسة روسيا تجاه سورية وكانت تتغير مع مرور الوقت وفقا لتطور هذه القوي وسوف نستعرض تحليل الادوار والمبادرات الروسية لتسوية الأزمة السورية

اولا: الادوار الروسية لتسوية الأزمة السورية

في بداية 2011 كانت الحكومة الروسية تري تن نظاما صديقا ، ويوجد تحديا من قبل مجموعة متنوعة من المحتجين وقد ادركت بطبيعة الحال ان سوريا تعاني من العديد من المشاكل الجيوسياسية المماثلة لتلك التي تعاني منها تونس ومصر والمتمثلة في نظام متحجر امضي ردحا طويلا من الزمن في السلطة غارقا في الفساد واخفق في احداث تغيرات في مجتمع يطالب بمزيد من الانفتاح والديمقراطية فكان ينبغي تنفيس الاحتقان في هذا الوضع الخطير عبر مزيج من الحزم الحكومي وتقديم بعض التنازلات للمعارضة (Lavrov، 2012)

فخلال الأشهر الستة الاولي كان اشتداد الأزمة السورية يسير بالتوازي مع العملية العسكرية التي قادها حلف الناتو في ليبيا وهكذا، فقد اصبح الهم الرئيسي لموسكو يتمثل في منع تكرار حدوث "السيناريو الليبي" في سوريا وبعد التغير الكلي الذي طرأ علي موقف واشنطن إزاء ليبيا خلال مارس 2011 ، لم يكن ثمة يقين بأن الولايات المتحدة لن تفكر في شن هجوم ما ضد القوات الحكومية السورية وقد علق وزير الخارجية سيرغي لافروف علي ذلك بنبرة جافة قائلا " الامريكيون لا يستعبدون أي شيء " (Lavrov، 2012)

وطوال فترة الصراع ، رأت موسكو أن المعارضة المتطرفة تسعي باستمرار لاستفزاز الحكومة وجرها للاستخدام المفرط والعشوائي للقوة ، علي نحو يجلب اكبر قدر من المعاناة للسكان ويحرك الرأي العام الغربي ضدها كما يشك الروس بأن المعارضة تسعي الي إثارة الصراع بين سورية وتركيا من خلال جلب القتال مباشرة الي الحدود السورية – التركية ، ويعتقدون أيضا أن المجازر التي وقعت بحق المدنيين الأبرياء والتي القت الجماهير والحكومات الغربية اللوم فيها علي القوات الحكومية السورية كانت تنظيم من قبل المعارضة ، من جانبهم انتقد المسؤولون الروس نظراءهم الغربيين لفشلهم في إدانة الهجمات الارهابية التي

شنت ضد الاهداف الحكومية ، وبرأيهم لا يمكن ان يكون هناك إرهابيون جيدون (Lavrov) .

ومن بين القضايا العديدة التي يشتمل عليها الصراع في سورية تبرز بوضوح امكانية استخدام الاسلحة الكيميائية ، وقد اخذت موسكو تلك المسالة علي محمل الجد حيث حذر العديد من المعلقين الروس من ان خطر حصول هجوم كيماوي في سورية قد يشكل ذريعة لتدخل عسكري تقوده الولايات المتحدة ، علي غرار غزو العراق في العام 2003 .

وكانت الاقتراحات الغربية المضادة تلقي بالمسؤولية علي عاتق الحكومة السورية ، ملزمة اياها وليس المعارضة بالانسحاب من المدن وقد استخدمت موسكو وبكين حق النقض ضد تلك الاقتراحات مرتين، ونتيجة لذلك اصيب مجلس الأمن بالشلل ، مما أدي الي اثارة الأسئلة مجددا في دول الخليج وغيرها ، حول شرعيته، وخاصة في ضوء الدور المتضخم لروسيا .

وكان الدبلوماسيون الروس في الأمم المتحدة حريصين جدا علي ألا يتضمن أي قرار لمجلس الأمن لغة من شأنها ان تعطي ميزة تكتيكية للمعارضة وتكون بمثابة ذريعة للتدخل ، وعندما رأت موسكو أن مشروعي القرارين يميلان لصالح معارضي الاسد و يفرضان علي الحكومة السورية عقوبات بموجب الفصل السابع ، فإنها لم تتردد في استخدام حق النقض ضدها.

وفي يناير 2012، عين الكرملين مبعوثا رئاسيا خاصا الي سورية ، وهو نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف، الذي يتمتع بمعرفة ممتازة في شؤون الشرق الاوسط والرسالة التي كان يتعين عليه ايصالها الي طرفي النزاع في سورية كانت ابدأوا بالحوار واعملوا من اجل مصالحة وطنية ، وقد حضت روسيا علي انهاء العنف في سورية كما اسفت لتزايد أعداد القتلى وحملت المعارضة المسؤولية عن سقوط معظمهم ، بما في ذلك المسؤولية غير المباشرة عبر القتال في المدن واستفزاز الجيش لشن هجمات مضادة .

فسوريا كانت بحاجة الي نصيحة من الخارج ، سواء من موسكو أو من انقرة التي حاولت ايضا اصلاح ذات البين والتوسط في بداية الامر، لكنها سرعان ما توقفت ، وعلي رغم ان موسكو كانت تجمعها بالأسد علاقة تجارية مزدهرة لم تكن لديها قدرة للتأثير عليه فالتحالف السوري – الروسي الذي كثر الحديث عنه كان مجرد أسطورة أو خيال ، وكما قال الرئيس بوتين ساخرا في وقت لاحق (علي نحو صحيح) ان الاسد يتردد علي باريس أكثر مما يتردد علي موسكو المدعومة روسيا . (KPutin، 2012)

اتسم الواقع الدبلوماسي للاتصالات الروسية – الغربية حول سورية بالدقة البالغة وذلك علي نحو يفوق كثيرا تلك الصورة العامة للتنافس بينهما ضمن اطار مايشبه الحرب الباردة، فقد ساندت روسيا والغرب بعثة المراقبين التابعة للجامعة العربية ، ومن بعدها بعثة السلام التي قام بها كوفي عنان ، والمبعوث المشترك للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ، علما أن ثقة موسكو بقدرة عنان ، علي تحقيق النجاح كانت اكبر من ثقة واشنطن وفي ربيع 2012 دعمت موسكو والعواصم الغربية بشكل رسمي ما سمي بخطة عنان والتي تنبأت بحصول حوار وطني يفضي الي حل يقوده السوريون علي رغم أن الغرب بدا وللمرة الثانية اكثر تشكيكا من روسيا حيال ذلك ، ولدي اجتماعهما في قمة العشرين في لاس كابوس بالمكسيك في يونيو 2012، اكد الرئيسان اوباما وبوتين مجددا دعمهما لهذا المبدأ العام .

وتم في جنيف في الثلاثون من يونيو 2012 ، التواصل الي اتفاق بين مجموعة العمل حول سورية التي تدعمها الأمم

المتحدة ، والتي ضمت الدول الخمس دائمة العضوية وتركيا والأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والاتحاد الاوروبي ، وقد اشار بيان جنيف الي" جهاز حكم انتقالي" مكون من عناصر من الحكومة الحالية والمعارضة يتولى كامل السلطة التنفيذية في البلاد ويقود الشعب السوري نحو المصالحة الوطنية والتسوية السياسية لكن المؤتمرين في جنيف فشلا في الاتفاق علي خطوات عملية وفورية تقضى الي تشكيل سلطة انتقالية. (group، 2012)

علي رغم أن محاولات موسكو لدعم الحوار بين السوريين كانت عبثية الي حد كبير، الا انه ينسب لها الفضل اولا في قبول الاسد بمبادرة سلام الجامعة العربية ثم ببعثته مراقبي الامم المتحدة الي سورية ، وموافقة بعد ذلك علي خطة عنان ، وأخيرا قرار الاسد بعد بيان جنيف بتعيين مفاوض مع المعارضة ووفقا للروس لم تلق هذه الخطوات التقدير الكافي من جانب الغرب في حين سخرت المعارضة منها بوصفها نفاقا . (Carnegie، 12 ن 2013)

ثانيا: المبادرة الروسية لتسوية الأزمة السورية :

نركز في هذا الجزء علي الأدوار الرئيسية أو المبادرات الهامة التي قدمتها موسكو أو تبنتها ومنها:

السلوك التصويتي الدولي لروسيا :

انعكس الموقف الروسي من الأزمة السورية علي سلوكها التصويتي في مجلس الأمن تجاه الأزمة السورية ، وفي هذا الاطار فشلت المساعي الغربية في الثامن والعشرين من ابريل 2011 لإصدار قرار من مجلس الأمن الدولي يدين سوريا لاستخدام العنف في قمع المتظاهرين بسبب معارضة روسيا ، وأكدت موسكو أنها لا تفضل حل الأزمة السورية عن طريق فرض عقوبات علي دمشق ، وتعطي الاولوية للوسائل الدبلوماسية والسياسة ، كما رفضت روسيا في الرابع والعشرين من أغسطس 2011 مشروع القرار المقدم الي مجلس الأمن لفرض عقوبات علي سوريا ، وهددت باستخدام الفيتو ضده، وتضمن المشروع الحظر الكامل علي توريد الأسلحة .

كما كانت روسيا من بين الدول التي صوتت ضد قرار مجلس حقوق الانسان التابع للأمم المتحدة حول سوريا في اجتماعه في التاسع والعشرين من أبريل 2011 الذي جاء بمبادرة أمريكية ووافقت عليه ستة وعشرون دولة من أصل سبعة وأربعون دولة ، ويشجب قرار الاستخدام المفرط للقوة من قبل السلطات بحق المتظاهرين وعارضت موسكو أيضا احالة الملف النووي السوري الي مجلس الأمن في اجتماع مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية في يونيو 2011 ولكن تم التصويت لصالح القرار بالأغلبية في محاولة من الدول الغربية للضغط علي سوريا ، كما حذرت موسكو الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي من تزويد المعارضة السورية بالأسلحة وتكرار السيناريو الليبي .

المبادرة الروسية بشأن الأسلحة الكيميائية السورية:

وتؤكد العديد من الدراسات أن نظام بشار الاسد قد تفادي ضربة عسكرية كادت توجه اليه، علي خلفية استخدام السلاح الكيميائي في ريف دمشق في الحادي والعشرين من أغسطس 2013 وذلك بالاتفاق الذي تم التوصل اليه بين موسكو وواشنطن في الرابع عشر من سبتمبر 2013 في جينيف، والذي يتعين بموجبه علي نظام الاسد الكشف عن مخزوناته من الأسلحة الكيميائية في غضون اسبوع من ذلك التاريخ وتدميرها قبل منتصف عام 2014 ولكن بالرغم من اعلان دمشق قبول الاتفاق، فان ذلك لم يحل دون استمرار المحاولات داخل مجلس الأمن الدولي لاستصدار قرار بشان الاسلحة الكيميائية السورية يتضمن التهديد باستخدام القوة بموجب الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة ، وذلك في حال عدم التزام النظام السوري ببنود

اتفاق جنيف مع تأكيد الرئيس الامريكي باراك اوباما ، ضرورة ان يجري في نهاية المطاف تحولا سياسيا في سوريا يتخلى فيه الرئيس الاسد عن السلطة ، لصعوبة تصور أن يخمد النزاع الدائر هناك في ظل وجوده كرئيس .
(عبدالحليم ، 2013)

ويذهب العديد من الباحثين الي تحول روسيا الي رقم مهم في الأزمة السورية:

استنادا الي عدة مؤشرات أهمها:

تمكن موسكو من استبعاد الضربة العسكرية الامريكية ضد نظام الرئيس بشار الاسد، وهو ما مثل انتصارا للدبلوماسية الروسية علي نظيرتها الأمريكية خاصة أن موسكو نجحت في الحصول علي تنازلات من واشنطن حول كيفية تسوية الصراع في سوريا ، ترجمت في قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2118 بخصوص نزع اسلحة الدمار الشامل السورية.

ادراك الولايات المتحدة لأهمية الدور الروسي في تسوية الصراع ، وهو ما انعكس في التصريحات التي أدلي بها مسؤولون امريكيون ، علي خلفية اجتماعات جنيف الثاني التي عقدت ، والتي لم تكتف بمطالبة روسيا بالتدخل بهدف الضغط علي نظام الاسد لعدم عرقلة المحادثات .

نجاح روسيا في عرقلة مشاريع قرارات داخل مجلس الأمن الدولي ، كان من الممكن ،أن توجه الصراع في سوريا نحو مسار لا يتفق مع ما نص عليه القرار 2118،

نجاح روسيا في فتح قنوات اتصال مع ممثلي المعارضة السورية ، وهو ما بدأ جليا في زيارة رئيس الائتلاف الوطني السوري أحمد الجربا الي موسكو .

انعكاسات السياسة الروسية علي تسوية الأزمة السورية :

يمكن بلورة أهم تداعيات وانعكاسات الموقف الروسي علي مسار تسوية الأزمة السورية في اطار عدة محاور ، وذلك في ضوء مستويات التحليل المختلفة لاسيما الداخلية والاقليمية والدولية ، وذلك علي النحو التالي:

أولا: استمرار الأزمة وتصاعد الأضرار السورية :

شهدت سوريا منذ مارس 2011 أزمة سياسية اجتماعية عميقة تحولت في جزء منها الي نزاع مسلح وبينت تداعياتها تعقيدات العوامل المؤثرة فيها اقتصاديا واجتماعيا وداخليا وخارجيا. ولكن من دون شك حمل الحراك الشعبي في سوريا طابعا سياسيا بامتياز ، وكان طرح قيمة الحرية منذ البداية والتمسك بها بشكل ثابت ومستمر من قبل معظم الأطراف وبتجليات متعددة عن جوهر الأزمة في الحرمان من الحريات السياسية والمؤسسات الممثلة والشفافة . (المركز السوري للبحوث والدراسات ، 2012) .

ونتيجة لذلك تراكمت التحديات في سوريا عبر العقود الماضية دون معالجة عميقة تمكن المجتمع السوري من النهوض بأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والمؤسساتية بما يرقي لطموحاته وأولوياته . مما شكل اختلالات كبري قادت الي تراجع الوضع التنموي النسبي لسوريا بالمقارنة مع الدول النامية ، وازدياد عجز الاقتصاد الوطني عن حمل الأعباء الاجتماعية والتنموية والبيئية بالإضافة الي ضغوطات الدور الاقليمي لسوريا في المنطقة .

كما تكبد الاقتصاد خسائر تتعلق بزيادة عجز الموازنة وتدهور سعر الصرف وزيادة عجز ميزان المدفوعات والتراجع الحاد في كل من الاستثمار العام والخاص وارتفعت الاسعار بشكل كبير مما أثر علي المستوي المعيشي للأسر ، مع ترافق ازدياد حاد في معدلات البطالة التي من المتوقع لها ان تصل الي حوالي 36٪ في نهاية 2012

ومن ناحية التنمية البشرية تدهورت الاوضاع الانسانية في معظم المناطق نتيجة لانتشار العنف المسلح وانعكس ذلك في زيادة معدلات الوفيات والجرحى والنازحين والمهجرين

بشكل كبير اضافة الي زيادة معدلات الفقر حيث يقدر دخول 3.1مليون فرد اضافي الي دائرة الفقر المادي حتي نهاية عام 2012 كما تكبد كل من قطاعي التعليم والصحة أضرارا جسيمة فيما يتعلق بالبنية التحتية والكوادر وتوفر الخدمات وامكانية الوصول اليها وقادت الي توقفها في بعض المناطق .

وقد تأثر النسيج الاجتماعي بالأزمة حيث ظهرت اتجاهات للعودة الي المؤسسات التقليدية بدلا من مؤسسات الدولة وتفاقم الاستقطاب بين شرائح المجتمع علي المستويات المناطقية والطائفية والمذهبية إضافة الي تراجع قيم الثقة والتكافل الاجتماعي وانتشار مظاهر العنف المسلح والعصبيات وانكشاف المجتمع علي الخارج . (المركز السوري لبحوث الأنوروا ، 2014)

بشكل عام يبين تطور مظاهر الأزمة في سوريا غياب رؤية متفق عليها للحل حيث وصلت الأوضاع الي نزاع مسلح واستقطاب حاد في المجتمع الذي قد يؤدي بسوريا كدولة ويحول عملية التغيير الهادفة أصلا الي انهاء الاستبداد والارتقاء بسوريا كدولة ممكنة لأبنائها وحافظة لحقوقهم وفرصهم علي تنوعها الثقافي والاجتماعي عملية تدمير للدولة والنسيج الاجتماعي ورأس المال البشري وبالتالي الانحراف عن المصلحة العليا لسوريا .

ثانيا: الانعكاسات علي العلاقات الروسية العربية

اعتادت الدول العربية من السياسة الروسية علي مواقف تتسم بالحيادية والاعتدال من القضايا العربية وبالتالي كانت تعول عليها في العديد من القرارات التي تسهم في مساندة القضايا العربية وبخاصة القضية الفلسطينية حيث إن روسيا عضو الرباعية الدولية المعنية بالتسوية السلمية في الشرق الاوسط وعضوا دائم في مجلس الأمن وتسعي الي التسوية السلمية في وقت بقيت فيه روسيا تحتفظ بعلاقات مع كافة الاطراف في القضية بما في ذلك حماس وحيث أن واجهة القذافي الثوار وحلف الاطلنطي ، فبالتالي كان التوازن والحياد في الموقف الروسي من الأزمة الليبية.

ولكن في حالة الملف السوري تري روسيا أن سوريا بمثابة حجر زاوية في أمن منطقة الشرق الاوسط وان عدم استقرار الوضع فيها او نشوب حرب أهلية سيؤدي الي زعزعة استقرار الأوضاع في دول الجوار الاقليمي خاصة في لبنان بل وصعوبات في منطقة بكاملها وتهديد حقيقي للأمن الاقليمي ، وبالتالي كان الموقف أوضح من ذلك حين التزمت روسيا بالدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري الواضح لنظام بشار الاسد في ظل دعوات الاصلاح السياسي والاجتماعي في الوقت الذي تدين فيه الدول العربية والولايات المتحدة الامريكية الاحداث في سوريا بقي الموقف الروسي من الأزمة في سوريا هو محك العلاقات العربية الروسية وهو ما اعتبرته الدول العربية كذلك . وعلي أثر الاحداث في سوريا أخذت العلاقات العربية الروسية علاقات استراتيجية واقتصادية وبقيت مرشحة لمزيد من التقارب السياسي والعلمي والعسكري مع اصرار روسيا علي سياستها المؤدية لنظام الاسد وتصدير السلاح للنظام في وقت تنتهك فيه قوات الاسد الثوار والمواطنين السوريين وسياسيا استخدمت روسيا الفيتو بالاعتراض علي ثلاثة قرارات لمجلس الأمن الدولي لإدانة ومعاقبة النظام السوري كل هذا جعل هناك ترقب من الجانب العربي الي ردود الافعال الروسية تجاه الاحداث في سوريا وساد الاعتقاد بأن مايحرك روسيا تجاه المنطقة العربية هي مصالحها وحساباتها الخاصة بالإقليم .

وقد تكرر ذلك الموقف في السابق في منطقة الشرق الاوسط عندما كان الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في افغانستان ولم تكن الدول العربية حينها ضد الاتحاد

السوفيتي حتي الموالية منها للولايات المتحدة وكان تفسير الموقف هو صراع القوتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وهو ما يعيد نفسه بشكل او باخر في ذات الوقت بين الولايات المتحدة وروسيا .

(موسى ، العلاقات العربية الروسية ، 2013)

وان غابت دول عربية كبري مؤثرة على مستوي الحضور العربي مثل ، السعودية ومعظم دول الخليج وهو يدل بشكل أو بآخر ان التعامل العربي مع الجانب الروسي اصبح احادي الموقف في حين ان تلك الدول العربية منها أو معظمها يرفض المواقف الروسية من الأحداث في سوريا فكان حديث المنتدي عن خطة للتعاون لمدة ثلاث سنوات فضلا عن الملفات الخلافية بين الدول العربية وروسيا وكان من الاولي ان تتوحد تجاه المصالح المشتركة العربية الروسية تقريبا في حين أن روسيا بقيت تحافظ علي روابطها مع الدول العربية وتعمل علي تنمية التعاون المثمر بينهما في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاستراتيجية في شكل علاقات تعاونية تخدم مصالحها ومصالح الأطراف العربية الروسية من منظر ثنائي وبقي للدول العربية أن تشكك في الدور الروسي في المنطقة من خلال مواقفها من الأزمة في سوريا وان كانت روسيا مصدرا اساسيا للمساعدات العسكرية والاقتصادية لبلدان مثل مصر وسوريا والعراق وليبيا والجزائر واليمن وهو ما رآه البعض سعي روسي لتكريس البعد التوسعي لدي روسيا الفيدرالية وان روسيا من خلال توثيق علاقتها وبخاصة الاقتصادية يمكنها من ان تقوي من نفوذها وسيطرتها أمام القوى الأخرى وقد يزيد من ذلك العلاقات الروسية الإسرائيلية .ووجود اسرائيل في الشرق الاوسط تربطها علاقات جيدة بروسيا سيضمن لها تحقيق الكثير من المصالح الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية .

ثالثا: التأثير علي النظام الاقليمي العربي :

تعد سوريا" رمانه الميزان الاستراتيجي العربي" لموقعها الجغرافي المتميز من جهة ولرعايتها دعوة القومية العربية سواء علي مستوي الفكر أو الحركة من جهة ثانية ولرفعها لواء المقاومة والممانعة ضد المشروع الإسرائيلي المدعوم من الغرب من جهة ثالثة

ورغم أن بعض الخبراء يري أن ازاحة النظام السوري الحالي سوف يؤدي الي خروج سوريا من معادلة الصراع العربي– الإسرائيلي فان الكثير من المراقبين يؤكد ان استمرار نظام بشار الاسد في السلطة سيؤدي علي الاغلب الي فصل سوريا عن الجسد العربي بعد تكرار المطالب العلنية من جانب غالبية الدول العربية برحيل نظامه لوقف نزيف الدم السوري ولجوء عدد من الدول الخليجية الي تسليح المعارضة بل ومطالبة قطر بالتدخل العسكري المباشر للإطاحة بنظام الاسد ولا شك في ان انفصال سوريا في ظل قيادة الرئيس بشار عن محيطها العربي سيؤدي الي توفير مزيد من الحماية والأمن لإسرائيل بما يجعلها قوة مهيمنة علي الشرق الأوسط في ظل الاختلال الشديد لتوازن القوي الاستراتيجية بينها وبين الدول العربية . (قنديل ، أكتوبر ، 2012)

أما سقوط نظام الرئيس الاسد فقد يؤدي الي تحقيق درجة ما من الاستقرار في لبنان علي الاقل نظرا لأن حرمان حزب الله من الدعم السوري والايراني سيؤدي تشجيعه علي الممارسة الديمقراطية واحترام القوي السياسية الأخرى في لبنان

رابعا: الاستقطاب الدولي وتعد حل الأزمة :

هيأت الأزمة الظروف المناسبة للتدخل الخارجي في دعم الدول النافذة دوليا واقليميا لاحد اطراف النزاع من

خلال فرض العقوبات أو منح التسهيلات الدولية والاقليمية بما في ذلك التمويل وحظر أو تسهيل الصادرات والواردات والتسليح والتي انعكست بمجملها سلبا علي مختلف شرائح المجتمع السوري وأدى ذلك الي الاستعصاء علي المستوي الدولي والاقليمي، حيث واجه الموقف الامريكي والاوروبي موقف كل من روسيا والصين مما منع أي دور فعال لمجلس الأمن وتجلي الاختلاف في المواقف الاقليمية بالمواجهة بين الموقف التركي السعودي القطري وموقف كل من العراق وإيران وقد انعكست هذه الاختلافات علي الداخل وعقدت من امكانية الوصل الي حلول للازمة السورية .

الخاتمة :

اشارة الي ما تقدم عرضه حول توجهات الموقف الروسي من الأزمة السورية وذلك نتيجة الي تشكيل القاعدة البحرية العسكرية الروسية علي الشواطئ السورية واهتمام روسيا بالأزمة السورية والوقوف الي جانب الحكومة السورية فقد لعبت روسيا دوراً كبيراً لتسوية الأزمة السورية وتقديم مبادرات لحلها والضغط علي الحكومة السورية لتقديم اصلاحات للشعب السوري حيث اكدت الحكومة الروسية أن حل الأزمة يجب أن يكون في أيدي الحكومة السورية حيث انعكست السياسة الروسية علي الدول العربية علي مواقف تتسم بالحيادية والاعتدال من القضايا العربية وبخاصة القضية الفلسطينية حيث ان روسيا عضو الرباعية الدولية المعنية بالتسوية السلمية في الشرق الأوسط وعضو دائم في مجلس الأمن وتسعي الي التسوية السلمية في كل القضايا العربية .

النتائج والتوصيات :

وقد توصل الباحث في هذه الدراسة الي النتائج التالية :

ان الأزمة السورية شكلت مدخلا لإعادة رسم تحالف المنطقة وتوازناتها وان هذه الأزمة التي بدأت داخلية سرعان ما تحولت الي صراعات اقليمية ودولية .

أن الأزمة السورية أصبحت كاشفة لعملية تغيير او تحول في بنية النظام الدولي من الاحادية القطبية التي سادت في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الي تعددية قطبية قد لا تكون ظاهرة بوضوح الآن .

ان العلاقات المترابطة ما بين الدوليتين من الناحية الاقتصادية والعسكرية والثقافية والتجارية وتشكيل القاعدة البحرية العسكرية الروسية علي الشواطئ السورية تلعب دوراً كبيراً في الأهمية الاستراتيجية في المنطقة .

إن الدبلوماسية الروسية لعبت دورا هاما في وقوفها ضد العدوان العسكري الغربي ولاسيما بعد التفاهم الروسي الامريكي علي قضية الاسلحة الكيماوية .

إنه رغم كل التفاهمات الروسية الأمريكية تظل السياسات الامريكية والاوروبية التحدي الأكبر امام السياسة الروسية في منطقة الشرق الاوسط عامة والأزمة السورية خاصة .

أما السياسات التركية تجاه الأزمة السورية وفي عموم منطقة الشرق الاوسط ما زالت تمثل أحد التحديات المهمة التي تتحسب لها الحكومة الروسية نظرا الي الطموحات التركية الكبيرة الخاصة بقيادة المنطقة .

هناك قلق روسي كبيرة من تنامي التنظيمات الارهابية في سوريا وفي المحيط الاقليمي نظرا الي تشعب هذه التنظيمات وتشابك علاقتها بما قد يفسر عن تهديدات متعددة تمس المصالح الروسية في المنطقة .

إن وقوف روسيا مع سوريا ومساندتها للنظام السوري ليس من أجل الصداقة الدولية فحسب بل تبقي روسيا من الدول الكبرى التي تحافظ علي مصالحها الاقتصادية والتجارية فمن الممكن ان تتخلي روسيا عن سوريا اذا ما حدث تفاهم

دولي مع الولايات المتحدة الامريكية مقابل حفاظ روسيا علي هذه المصالح .

توصيات الدراسة :

لقد توصل الباحث الي التوصيات التالية :

علي الدول العربية أن تأخذ مواقف حاسمة ضد أي تفكير غربي بالتدخل العسكري لبلادهم وتقسيم الدول العربية وضعف القوة العربية .

وذلك من خلال الدخول عبر بوابة حماية وحقوق الاقليات ، يجب ان تدرك المعارضة أن هذا العمل ما يصب في مصلحة الدول الغربية بالدرجة الاولي وعلي المعارضة عدم الاستعانة بدعم الغرب والتدخل العسكري ومن الافضل ان يتم التحاور والمفاوضات بين أبناء الشعب السوري بواسطة تدخل الدول العربية لحل الأزمة السورية من أجل مصلحة السوريين .

يجب علي القوي الدولية التي تتصارع علي اثبات الذات وحماية مصالحها في المنطقة ان تلتفت الي ما يعانيه الشعب السوري نفسه من ويلات التشرد واللجوء إلى دول متفرقة علي روسيا كقوة دولية عائدة الي ساحة القيادة الدولية أن ترفع يدها عن مساندة نظام بشار الاسد كنظام سياسي قائم بذاته وان يتم طرح رؤي وتصورات حقيقية لحل الأزمة السورية ووقف الاقتتال الدائر علي أرضها .

ليس من مفر أمام الجامعة العربية كي تتحمل مسئولياتها تجاه الأزمة السورية فبدلا من ان تأخذ قرار فاعليتها استعراضيا بان تمنح المعارضة السورية المقعد الخاص بسوريا في الجامعة، كان عليها أن تتدخل وتلملم شتات الشعب السوري من خلال الدعوة الي وقف القتال والجلوس من اجل التفاوض وانهاء الفوضى .

يجب علي المجتمع الدولي بكافة معسكراته من الشرق الي الغرب أن يوحد جهوده من أجل مكافحة التنظيمات الارهابية ليس في سوريا فحسب ولكن في الكثير من دول العالم ولا سيما بعد اعلان تنظيم داعش الارهابي دولة الخلافة من العراق .

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : الكتب :

المنوفي كمال (2006) ، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة ، ص99 ، القاهرة

سليم محمد السيد (2008)، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، (ط3 ، القاهرة : دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع) ، ص6

مقلد اسماعيل صبري (2009) ، العلاقات السياسية الدولية (ط1 ، ص ص 12 ، 14 ، أسيوط : كلية التجارة) .

ثانياً : الدوريات والمجلات :

الشيخ نورهان (2013) ، الموقف الروسي من الثورات العربية رؤية تحليلية في واقع الاصلاح ومالات التغيير ، مؤسسة البيان بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية ، الرياض .

نورهان الشيخ ، موقف روسيا والصين وايران من تطورات الأزمة السوريا رؤية استشرافية مجلة اوراق الشرق الاوسط ، العدد 58 ، يناير 2013 ص 35-31.

المركز السوري لبحوث السياسات (2012) استشراف بدائل للحل .

المركز السوري للبحوث السياسية الأونروا (2014) ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، سوريا وهدر الإنسانية .

عبد الحليم ايمان احمد (2013) ، مستقبل الأزمة السورية بعد اتفاق نزاع السلاح الكيميائي ، مجلة السياسة الدولية ، منشور على :

http://www.siyassa.org.eg/newsq/3290.aspx

حسين أحمد سيد (أبريل 2014) ، السياسات الروسية تجاه الشرق الأوسط ، مجلة الديمقراطية ، العدد 52 .

عبد القادر نزار ، (روسيا والأزمة السوريا : مصالح جيو استراتيجية وتعقيدات مع الغرب ، مجلة الدفاع الوطني) ، منشورة علي :

http://www.lebarmy.gov.lb/news/?34961#.vklazukucdy.

قنديل احمد (2012) ، التأثيرات المحتملة للازمة السورية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 190، اكتوبر .

موسى رندا (2013) ، العلاقات العربية الروسية مابعد الربيع ، مجلة رؤية تركية .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

international politics: a ،k.j.holsti framework for analysis ،(new jersey: prentice hall inc.)،1967 pp.155-165.

interview of s. v .lavorv the ministr of foreign affairs of the Russian federation to the Egyptian newspaper al ahram ،november5 2012

13/foreign minister lavrovs interview to kommersant fm march20 ،2012

lavrov either secure Syria chemical weapons or arm its rebles.

Mikhail bogdanov apecial presial presidential envoy for the middle East January 23،2012،available at: http://eng.kremlin.ru/acts/3352.

press conference with Vladimir Putin and president of france france francois hollande paris june I ،2012

http//:eng.kremlin.ru/transcripts/3945

action group for Syria final communiqué genena june30،2012

Dmitri tren the mythical alliance: russias Syria policy paper Carnegie Moscow center February 12،2013

مراجع أخرى :

حديث ميدفيدف إلى قناة روسيا اليوم ، 5 / 8 / 2011

وكالة توفستي 19 / 8 / 2011 .